# الافتتاحية

## مشهد شعري فلسطيني جديد

أمجد ناصر

I

ها هو رهان الشعرية الفلسطينية اليوم: مراودة الجمال والمعنى العادي واللغة المبردة يتحقق رغم الوقائع المحبطة التي تفرضها القوّة الإسرائيلية، مطلقة السراح، على المشهد الفلسطيني اليوم.

فلم تفلح برهة الاحتلال الضاغطة على العصب الفلسطيني، بكثافة وعنف يذكران بآخر ما تقوم به القوات المحتلة قبل انكفائها النهائي، أن تردّه إلى أرض الصرخة والتعبير المنفعل عن الحياة والموت والألم، فيما الإسرائيلي المتحدّر من صلب «الحضارة البيضاء» يواصل، بعيداً، عما تفعله دباباته في الضفة والقطاع، الانتساب إلى برهة العصر ومشاغلها المتحضرة.

على هذا الصعيد، في الأقل، فشلت فوهة المدفع
وأخفض الضغط والحصار.

يكفي تواصل صدور «الشعراء» و«الكرمل» والسلاسل الشعرية الفلسطينية وعرب آخرين (.. محاصرين كالعراقيين) في ذروة اشتباك الحياة الفلسطينية بأسرها مع آخر جيش استعماري في العالم لتأكيد تحقق هذا الرهان.

هذا تعبير فلسطيني قوي عن التشبث بأهداب الحياة.

لكنه ليس كل شيء.

فعلى أهمية تواصل الانشغال بالكتابة الشعرية والترجمة وتوالي الإصدارات، رغم الحصار الإسرائيلي الشامل، فالأهم، بنظري، هو: أي كتابة هذه التي ينتجها الفلسطيني الآن؟

هذا هو «بيت القصيد» ومعقد الرهان.

## II

لا يشبه المشهد الشعري الفلسطيني اليوم ما كان عليه قبل عشر أو خمس عشرة سنة خلت، سواء تعلّق الأمر بعدد المنخرطين فيه أم بطبيعة انشغالاته.

كأننا اليوم أمام طفرة شعرية فلسطينية فعلية تأتي، هذه المرة، من المكان الذي بدا أنه الحلقة الأضعف في الشعرية الفلسطينية: الضفة الغربية وقطاع غزة.

فلم نكن نعرف قبل نحو عقد من الزمان هذا العدد الكبير من الشعراء في الضفة والقطاع، ولا كان ما يصل إلينا من هناك ينبئ عن انشباك هذه القصيدة باللحظة الشعرية العربية في الخارج.

كانت قصيدة تدور في أفقها الخاص.

تتصدى لمهام تتجاوز طاقة الشعر ومشاغله.

فالاحتلال كان قد قطع الأواصر بين الضفة والقطاع من جهة والعالم العربي من جهة أخرى، فلم تكن تصل إلى هذا الجزء المحتلّ من فلسطين أدبيات الكتابة العربية الجديدة، ولا يبدو أنه كانت تسمع هناك أصداء السجالات والصدامات حول الأشكال والموضوعات التي ينبغي (أولا ينبغي) على الشعرية العربية أن تتخذها وتعمل عليها.

لذلك كانت الكتابات تصلنا من «الداخل» لا تعكس شيئاً مما يجري في فضاء الشعرية العربية الملبد بالصراعات الفنية، بل كانت لا تزال تتلكأ في أرض «قصيدة المقاومة» التي انطلقت من فلسطين المحتلة العام 1948 لتنبئ، بدءاً، عن وجود هؤلاء الفلسطينيين المنسيين في أرضهم التاريخية، ثم لتغادر هذه الكتابة، أو على نحو أدق، أفضل أصواتها، الإعلان عن الهوية والوجود الإنساني، إلى الدخول في مغامرة الكتابة الشعرية العربية، دون أن يعني ذلك تخلياً عن السؤال الفلسطيني بوصفه سؤالاً إنسانياً كونياً بقدر ما هو سؤال أرض وشعب ومصائر تاريخية محددة.

هذه هي المعادلة التي كانت ترهص بها، مثلاً، كتابة محمود درويش في بواكيره وحققت تحولها الكبير بدءاً من «أحبّك أولا أحبّك» (خصوصاً المزامير، سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا) ثم ديوانه «محاولة رقم 7».

كان من الصعب في رأيي التحدث عن أجيال في شعر الضفة والقطاع أسوة بالتمرحل والتحقيب اللذين عرفهما الشعر الفلسطيني في الشتات، ناهيك عن «التجريب» أو العمل الشعرية «المختبري» الذي عَرَفَته أكثر من ساحة شعرية عربية، بالخصوص، بيروت.

ويخطر لي أن شعر الضفة والقطاع كان لا يزال مشغولاً (حينها) بسؤال الهوية الوطنية أكثر مما كان مشغولاً، أو معنياً، بـ«ترف» التجريب والسؤال الجمالي المتعالي.

لكن هذا كله، تغير، على ما أظن، الآن.

فنحن أمام مشهد شعري فلسطيني جديد تعكسه لنا، نحن الذين نراقب ونطلق الأحكام من الخارج، الكتابات التي تحملها المنابر الثقافية الفلسطينية، وبالخصوص مجلتي «الشعراء» و«أقواس» وإصدارات «بيت الشعر» الفلسطيني لعدد من الشاعرات والشعراء الجدد.

إنه هبوب المخيمات والهوامش الفلسطينية (في الضفة والقطاع) على «قصيدة النثر» والتجريب الشعري والمشهد

الصغير والجزئي الذي لا يصلح مادة للشعار أو البطولة. ويبدو لي أن الكتابة التي يحملها هذا الهبوب الجديد تتجنّب البطولة البليغة (. . أو البلاغية) والغنائية الطافحة التي وسمت شطراً كبيراً من الشعر الفلسطيني في طوره المقاوم لتحتفي بما هو عادي وشخصي وهش ونافل.
التحدي الحقيقي الذي تواجهه هذه الكتابة وتنجح فيه إلى حد بعيد، هو أنها لم تسمح، كما أشرت، للدبابة الإسرائيلية التي تتجوّل في الأحياء أن تحول تحركها الدموي هذا إلى شعار، أن تصرفها من الملموس إلى التجريد، أن تجعل سؤال الفحوى والمضمون يتقدّم سؤال الشكل.
واضح أن هذا الطور الشعري الجديد يمد الشعرية الفلسطينية بأصوات طازجة، ويطرح عليها أسئلة تعيد الاعتبار لليومي والجزئي والشخصي الذي لم يكن جليّاً ومفكراً فيه شعرياً، على الصعيد الفلسطيني كما هو عليه اليوم.
لن أبحث في الأسباب التي جعلت شعر الأصوات الفلسطينية الجديدة يتخذ هذا المنحى الذي قد لا يرضى دعاة «الالتزام» والتسييس الخانق لكل شاردة وواردة، فهذا أمر يحتاج إلى وقفة أطول، وربما إلى عدة لا أمتلكها، ولكنني أكتفي، هنا، بالإشارة إلى هذه الملاحظة التي تصدر (أكرر) من مراقب يتابع المشهد من بعيد.
وبما أنني ضيف افتتاحية «الشعراء»، دعوني، ختاماً، أحيي الإصرار العنيد لـ«بيت الشعر» الفلسطيني على مواصلة إصدار «الشعراء» في موعدها وإلحاقها (بل وإغنائها) بشقيقتها الشابة «أقواس» رغم أن الشعر يبدو للكثيرين في لحظة العصف الفلسطينية هذه (وقد يكونون محقين) نوعاً من الممارسة المترفة. . أو الكماليات.
من دون تلك الأعمال الشعرية التي أصدرها «بيت الشعر» الفلسطيني والتي لا يزال يواصل، على ما يبدو، إصدارها، ما كان ممكناً لنا أن نعرف ما الذي يحدث في الشعرية الفلسطينية.
فهذه الإصدارات جعلت من الممكن الإطلال على مشهد متواتر وراء أحداث اللحظة الكبيرة.
لكن الأكثر طرافة، بل ودلالة، أن الشعر العراقي المحاصر لم يجد من يحتفي به إلاّ الشعراء الفلسطينيين المحاصرين.
وهذا تقليد فلسطيني قديم.
فالذين عاشوا في ظلّ الثورة الفلسطينية يعرفون ذلك.